

جامعيون ولكن!



«لماذا نتعلم وسنجلس في نهاية المطاف في المنزل» عبارة يرددتها معظم المتخرجين من الجامعات. فرص العمل محدودة. البطالة.. الراتب غير كافٍ. وهو يحاول الدخول في معمة الحياة العملية، فالحلم شيء والحقيقة شيء آخر، وهنا تكون أول صدمة لهم، حيث تبدأ أحلامهم بالإنهيار بعد إنهاء دراستهم والبدء بمرحلة جديدة من حياتهم.. وهذه المقولة تكشف لنا عمق مشكلة البطالة في لبنان. وإذا كانت البطالة مشكلة عالمية بل أكثر المشكلات الاجتماعية والإقتصادية التي تعاني منها كل الدول وإن كان بنسب متفاوتة.

وإذا كانت الدول المتطورة قد وجدت علاجاً عن طريق التقديمات الاجتماعية والضمان الاجتماعي للعاطلين عن العمل فإن الدول الفقيرة ليس بمقدورها ذلك فتتحول المشكلة أحياناً إلى كارثة كما يحصل في مصر أو في تونس على سبيل المثال من عمليات انتحار فردية وجماعية: فقد كشفت إحصائية مركز الإحصاء والتعبئة التابع لمجلس الوزراء في مصر عام ٢٠٠٨ أن ١٥ ألف شاب قد انتحروا في مصر خلال ٤ سنوات فقط بسبب البطالة وأضافت الإحصائية أن عام ٢٠٠٥ شهد لوحده ١١٦٠ حالة انتحار.

أما في لبنان الذي لم يصل إلى مستوى الدول الغنية في حل مشكلة البطالة لكنه لم يصل أيضاً إلى حصول حالات انتحار جماعي كما في مصر أو تونس وإن حصلت حالة واحدة مؤخراً.

وهذا يعني أن البطالة في لبنان وصلت إلى خط الخطر. الإهتمام بالبطالة في لبنان بمعظمه يقوم على الدراسات والإحصاءات دون أن يتم التوصل إلى أية حلول من أبرز هذه الدراسات والإحصاءات ما قام به الإحصاء المركزي بالإشتراك مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة يونسيف عام ٢٠٠٩ وكانت النتيجة التالية:

معدل البطالة في لبنان ٦,٤% «٤٠,١% إناث، ٥% ذكور». وهذه النسبة موزعة حسب الأعمار وحسب المستوى العلمي وحسب المناطق على النحو التالي:

البطالة حسب العمر		البطالة حسب المستوى العلمي		البطالة حسب المناطق	
١٩,٨%	بين ١٥ و ١٩ سنة	٨,٨%	مستوى جامعي	٧,٧%	بيروت و ضواحيها
١٥,٦%	بين ٢٠ و ٢٤ سنة	٧,٧%	مستوى ثانوي	٥,١٠%	جبل لبنان
٨,٨%	بين ٢٥ و ٢٩ سنة	٥,٢%	مستوى متوسط	٧,٦%	محافظة الشمال
٤,٧%	بين ٣٠ و ٣٤ سنة	٤,٦%	مستوى ابتدائي	٥%	محافظة البقاع
٣,١%	بين ٣٥ و ٣٩ سنة	٤,٤%	أميين	٥%	محافظة الجنوب
٣,٣%	بين ٤٠ و ٤٩ سنة			٦%	محافظة النبطية

يبين من هذه الجداول أن نسبة البطالة ترتفع عند الشباب وتخفض تدريجياً مع تقدم العمر. كما أنها ترتفع مع ارتفاع المستوى العلمي. ذلك أن العمال دون الشهادة الابتدائية تتوفر لهم فرص العمل أكثر من المتعلمين الذين لا يرضون القيام بأية أعمال يدوية أو بأجور قليلة.

ومن نتائج هذا الإحصاء أيضاً حول البطالة كان من الملاحظ أن:

- ٥٩% من العاطلين عن العمل من الذكور.
- ٨٣,٤% غير متزوجين.
- ٣٦,٨% هم من المستوى الجامعي.
- ٢٩,٦% يعيشون في ضواحي بيروت.
- ٥٤,٥% من العاطلين الذين كانوا يعملون في السابق.
- ٤٥,٥% لم يزاولوا أي عمل سابق.

الحديثة قد تجد سوقاً لاستيعابها يتمثل في دول الخليج التي هي بحاجة إلى هذه الإختصاصات. وهذا ما يخلق مشكلة جديدة في لبنان هي مشكلة الهجرة التي تحرم لبنان من الشباب. أما المتخرجون من الجامعات باختصاصات أدبية وفلسفية وسوى ذلك فإنهم يواجهون احباطاً كبيراً عندما ينطلقون إلى ميدان العمل. كانت جويل (٢٦ عاماً)، عندما حصلت على شهادة الثانوية العامة في العام ٢٠٠٦، تخامرها أحلام الشهرة والأضواء والإبداع، والظهور على شاشات التلفزيون، خصوصاً بعد حصولها على علامة جيدة أهلتها للالتحاق بقسم الصحافة والإعلام في الجامعة.

ومرت الأعوام الأربعة التي قضتها في الجامعة سريرة كالحلم، وكانت خلال دراستها تعمل مع العديد من الصحف والمواقع الإلكترونية حتى تزيد من خبرتها؛ لأن الصحافة والإعلام، ممارسة وحس وإبداع تحتاج إلى التطوير، كما تقول، وفي كل عام "أزداد لهفة على خوض غمار التجربة المهنية للالتحاق بإحدى الصحف أو المحطات التلفزيونية، وأظهر قدراتي العملية التي تعلمتها في الجامعة". وتقول "بعد سنة من التخرج، بدأت أعاني من البطالة، وشعرت أن أحلامي بدأت تتحطم على صخور الواقع الصعب.

من ملاحظة الجداول يتبين عمق مشكلة البطالة في لبنان والتي تحتاج إلى جهود جبارة في مجالات التخطيط والتنمية والتربية والتوجيه. ولعل أبرز مظاهر البطالة تلك التي يعاني منها متخرجو الجامعات في المجالات الأدبية والفلسفية بشكل خاص. وفي القصة التالية تبين بعض ملامح هذه المشكلة: أستاذ أحد طلاب الفلسفة سيارة أجرة، وفي الطريق كان السائق يستمع إلى أغنية رومانية باللغة الفرنسية وقد انسجم معها بشكل ملفت. فتعجب الطالب وسأل السائق:

- هل تعرف معنى كلمات الأغنية؟ ضحك السائق وقال: أنا متخرج من الجامعة باختصاص أدب فرنسي منذ عشرين عاماً ولا أزال أنتظر فرصة العمل في مجال الإختصاص. وأنت؟ - أنا لا أزال طالباً جامعياً في صف الفلسفة. ضحك السائق قائلاً: - أنا أملك سيارة تاكسي ثانية فهل تعمل عليها؟!

إن دلت هذه القصة على شيء فعلي حجم البطالة المقنعة التي يعاني منها المتخرجون الجامعيون. وإذا كانت مشكلة البطالة عند الجامعيين في العالم كبيرة حتى في البلدان المتطورة فإنها في لبنان وفي مجال الإختصاصات العلمية مثل الطب والهندسة والاتصالات والتكنولوجيا،